# الظاهرة الاتصالية-اللغوية وتعدد المعاني
# من تحليل المضمون إلى التحليل السيميولوجي

# *The communicative-linguistic phenomenon and the multiplicity of meanings*
# *From content analysis to semiological analysis*

**الزهراء زرقين***



| تاريخ الإرسال: 2021/12/25 | تاريخ القبول: 2021/12/05 | تاريخ النشر: 2023/05/10 |
|---|---|---|



**الملخص:**

تطرح مسألة تعدد معاني الرسالة الاتصالية- اللغوية، عدة إشكاليات معرفية ومنهجية، وللإحاطة بالظاهرة الاتصالية-اللغوية، يلجأ الباحثون في مختلف التخصصات، إلى الأدوات المعرفية التي يقدمها الدرس اللغوي، مستفيدين من التطور الحادث في دراسة المعاني والصور والدلالات..

لقد صار التحليل السيميولوجي تصورا نظريا ومنهجيا تطبيقيا، ف يشتى المعارف والدراسات الانسانية والاجتماعية، وأداة في مقاربة الأنساق اللغوية وغير اللغوية، وأصبح مفتاحا حداثيا، يسهل على الدارسين مسألة الفهم، لمختلف العلامات البصرية، السمعية، المكتوبة، المنطوقة...، من خلال آليات منهج التحليل السيميولوجي، لقراءة المادة الاتصالية- اللغوية، وتفسيرها، والذهاب بعيدا في إعطاء المعاني العميقة لرسائلها.

الكلمات المفتاحية: السيميولوجي؛ تحليل المضمون؛ المنهج؛ اللغة-الاتصالية؛ المعاني؛ الخطاب.

**Abstract:**

*The issue of the multiplicity of meanings of the communicative-linguistic message raises several cognitive and methodological problems, and in order to understand the communicative-linguistic phenomenon, researchers in various disciplines resort to the cognitive tools provided by*

*جامعة الحاج لخضر-باتنة1. zohra.zerguine@univ-batna.dz

*the linguistic lesson, taking advantage of the development that occurred in the study of meanings, images and sema.*

*Semiological analysis has become a theoretical conception, and an applied methodology, in various knowledge and human and social studies, and a tool in approaching linguistic and non-linguistic formats, and it has become a modern key, making it easier for students to understand the various visual, audio, written and spoken signs... through mechanisms The semiological analysis approach, to read the communicative-linguistic material, interpret it, and go far in giving the deep meanings of its messages.*

***Keywords**: semiology; content analysis; Method: language-communicative; meanings; the speech*

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊

**المؤلف المرسل: الزهراء زرقين. zohra.zerguine@univ-batna.dz**

**1. مقدمة:**

يتحدد البحث العلمي من خلال مقوماته النظرية والمنهجية، والتي تنتظم ضمن استراتيجية معرفية ثابتة، من خلالها تتشكل الاشكاليات والقضايا، تبعا لطرق المعالجة، وسبل المقاربة، تأسيسا على لغة مفهومية واصفة وإجرائية، فلا يمكننا تصور بحث علمي قوي، إلا في إطار ثلاثية إبستيمولوجية؛ تشمل الخلفية النظرية، والإجراءات المنهجية، والبنية المفاهيمية، هي ثلاثية متماسكة ومنسجمة، تشتغل بفرضيات وتساؤلات محددة، في أفق تحصيل استنتاجات منطقية.

سعى الباحثون، في السيميولوجيا والسيميائية، إلى الكشف عن الشيفرات، والقواعد والقيود، المستترة، المسؤولة عن انتاج وتسير المعنى في كل شيفرة، ففتحت السيميولوجيا أمام الباحثين، في مختلف التخصصات الإنسانية والاجتماعية، آفاقا جديدة لتناول المنتوج اللغوي الإنساني، من زوايا بحثية جديدة، بل يمكن القول إن السيميولوجيا-بمقارباتها المختلفة، ساهمت بقدر كبير في تجديد الوعي النقدي، من

خلال إعادة النظر في طريقة التعاطي مع قضايا المعنى. وضمن هذا السياق يتجه التحليل السيميولوجي للأنساق الاتصالية، في إطار ملامسة قضايا الدلالة، واستظهار تحليلاتها الوظيفية، واستنطاق أبعادها المحايثة.

إن الهدف الأساسي للسيميولوجيا، هو المساهمة في انفتاح الدراسات التواصلية –اللغوية والإعلامية، على تصورات تحليلية جدلية، من خلال جهاز إجرائي متكامل، يراعي خصوصية وطبيعة كل نسق اتصالي على حدى.

من خلال هذا المقال، نحاول توضيح صلة الوصل المنهجي بين السيميولوجيا وبين الظاهرة الاتصالية اللغوية، من خلال طرح تساؤل: كيف يمكن للسيميولوجيا كشف معاني مضمون الرسالة الاتصالية-اللغوية؟

## 2. مفهوم السيميولوجيا:

يمكن إرجاع أصل الاشتقاق اللغوي للكلمة، سيميولوجيا: (sémiologie) من الأصل اليوناني (sémeion) أو (semano) والمتولدة هي الأخرى من كلمة (séma) وتعني العلامة(الدليل) (signe)، وهي منسوبة إلى الكلمة الأصل (sens)، (المعنى)/ أما لفظة (logie) مشتقة من (logos) وتعني: حديث أو دراسة[1].

وذهب البعض على أنها علم علوم اللسانيات لمعرفة دقيقة للمعاني والمتعلقة بالدال والمدلول من الألفاظ.[2] ولكن حديثا عرف هذا العلم بدراسته أنظمة العلامات التي يبتكرها الإنسان كنتاج له معاني، ودلالات ذات علاقة بسلوك الإنسان.

أما اصطلاحا، عُرفت السيميولوجيا على أنها علم العلامات والإشارات، أو الدوال اللغوية أو الرمزية، طبيعيةكانت أم اصطناعية، سواء تمثلت فيما وضعه الإنسان عن طريق الاختراع، أو ما تم الاتفاق عليه مع أفراد مجتمعه، وأجمع على تفسير دلالاتها

ومقاصدها، أو سواء كانت علامات طبيعية، أفرزتها هذه الأخيرة بشكل عفوي وفطري، لا دخل للإنسان في وجودها ولا في حدوثها.[3]

من هنا، يتضح أن السيميولوجيا تدرس ما هو لغوي، وما هو غير لغوي، فهي تتعدى المنطوق إلى ما هو بصري، كعلامات المرور ولغة الصم والبكم، والشفرات السرية، ودراسة الأزياء وطرائق الطبخ...

يرتبط مصطلح السيميولوجيا بالباحثين الفرنسيين[4]. وبكل ما هو نظري، وبفلسفة الرموز وعلم العلامات والأشكال، في صيغتها التصورية العامة، فكلمة السيميوطيقا (sémiotique) الأمريكية[5]. قد حصرها العلماء في ما هو نصي وتطبيقي وتحليلي، ومن هنا جاءت الدراسات في سيميولوجيا الصورة، سيميولوجيا المسوح، سيميولوجيا السينما..

ولنتفق أن المصطلح الشائع تداوله في الدراسات الأكاديمية، علميا ونظريا وتطبيقيا، هو مصطلح السيميولوجيا (sémiologie).

مما سبق يمكن تعريف السيميولوجيا: باعتبارها دراسة العلامات، برموزها ودلالاتها، وهي العلم الذي يقوم بتحليل المعاني على أسس منظمة ومنتظمة، عبر تتبع مسيرة العلامة في كنف الحياة المجتمعية، والقوانين التي تحكمها.

**3. السيميولوجيا البنيوية، بداية التعمق:**

يعتبر النموذج اللساني البنيوي، الذي أرسى أسسه ودعائمه العالم السويسري "فيرديناند ديسوسير" "F. De. Saussure" في فرنسا، من خلال كتابه: "محاضرات في اللسانيات العامة"، لحظة القطيعة الإبستمولوجية، التي أحدثها في ميدان الدراسات اللسانية التاريخية، وقد جعلت هذه القطيعة اللسانيات، العلم الشامل والرائد الذي تستفيد منه مختلف المدارس والمشارب المعرفية: كالنقد الأدبي، الأسلوبية والتحليل

النفسي وعلم الاجتماع، بالإضافة إلى جهود الوظيفيين في اللسانيات والشكلانيين الروس في الشعرية[6].

إذن نستطيع الوصول إلى أن ف. دي سوسير "F. de. Saussure" قد بشر في محاضراته إلى ظهور علم جديد سماه "السيميولوجيا" "La Sémiologie"، سيهتم بدراسة الدلائل والعلامات، في قلب الحياة الاجتماعية، ولن يعدو أن يكون موضوعه الرئيسي، مجموعة الأنساق القائمة على اعتباطية الدلالة، على حد تعبير "دي سوسير" "F. de. Saussure" إذ يقول: "نستطيع إذن أن نتصور علما يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، علما قد يشكل فرعا من علم النفس الاجتماعي، وبالتالي فرعا من علم النفس العام، وسوف نسمي هذا العلم بالسيميولوجيا، ومن شأن هذا العلم أن يطلعنا على كافة هذه العلامات، وعلى القوانين التي تحكمها..... وإن اللسانيات ليست سوى فرعا من هذا العلم العام..." [7]

من هنا نستطيع القول أن المؤسس الأب للسيميولوجيا هو الباحث السويسري الأصل "ف, دي سوسير" "F. de Saussure". وقد تزامن هذا التأسيس لها مع مجهودات الباحث الأمريكي "تشارلز ساندس بيرس" "Charles. Sanders. Peirce"، الذي نحا منحى فلسفيا منطقيا رياضيا، وأطلق على هذا العلم الذي يهتم به بـ "السيميوطيقا" "Sémiotique"، واعتقد تبعا لهذا أن النشاط الإنساني نشاط سيميولوجي في مختلف مظاهره وتجلياته، ويعد هذا العلم، فياعتقاده إطارا مرجعيا يشمل كل الدراسات، يقول وهو بصدد تحديد المجال السيميولوجي العام الذي يتبناه: "إن لم يكن باستطاعتي يوما ما، دراسة أي شيء، رياضيات كان، أم أخلاقا أو ميتافيزيقا أو جاذبية أو ديناميكا حرارية أو بصريات أو كيمياء أو تشريحا مقارنا أو فلكا أو علم نفس أو علم صوت أو اقتصاد أو تاريخ..، إلا أن تكون هذه الدراسة سيميولوجية..." [8].

**4. منهج التحليل السيميولوجي والظاهرة اللغوية-الاتصالية:**

تتعدد مقاربات التحليل المنهجي للموضوع السيميولوجي، المتكون من عدة أنساق لغوية-اتصالية؛ حيث تنطلق من اللسان، وتمر بالأمارات والصور الجسدية، لتتعداها إلى المسرح والسينما، فالتليفزيون، مشكلة ما يسمى بالأنساق البصرية، لكن الأصل في التحليل المنهجي، انطلق من الأنساق المكتوبة-النصية. وعليه، نجد من الضروري الاشارة إلى التأصيل النظري لمنهج التحليل السيميولوجي، الذي مر عبر مرحلتين إجرائيتين، كانتا قطعية ومفصلية، للوصول إلى المقاربات التالية:

1- مقاربات تحليل الشعر.

2- مقاربات تحليل الخطاب الروائي.

3- مقاربات تحليل الخطاب الإعلامي.

4- مقاربات تحليل الصورة الثابتة.

5- مقاربات تحليل الصور المتحركة.

6- مقاربات تحليل الانتاج المسرحي.

7- مقاربات تحليل الخطاب السينمائي.

إن مقولة تعدد المقاربات، ومرونة التحليل السيميولوجي، كانت خصوصية وتفرد ابستيمي، لهذا المنهج التحليلي-الكيفي، زادته قدرة على وصف النسق الاتصالي، ودعمت كفاءته العالية، في مساءلة تمظهراته الدلالية ومقاصده التداولية، فمن الناحية المعرفية، كان بمثابة جهاز إجرائي، ساهم في فهم تجليات الرمزية، والسياقية الثقافية، لبنية الأنساق، سواء كانت لفظية، أم غير لفظية.

وقد ساعدت المفاهيم الإجرائية للتحليل السيميولوجي، على تلمس حدود الالتباس الناشئ بين قواعد هذه الممارسة العلمية، والآليات الأخرى، التي توظف في استنطاق المعنى مثل: القراءة، التأويل، النقد، الانطباع..،وغيرها من أدوات المعالجة المعرفية لأنساق الدلالية.

لقد أطلق على هذه الرؤية المنهجية، الحديثة، مسمى التحليل السيميولوجي متعدد المقاربات، الذي يروم مساءلة البنى القيمية، والرمزية الكامنة في ثنايا الخطابات الاتصالية[9]ورصد المقولات الدلالية التي تؤسس لقضايا انفتاح النصوص ورفض طروحات الأنساق المغلقة، التي تقوم توحيد مستمر لما هو متعدد.

إن إشكاليات التواصل، عموما، يقتضي منهجيا الاستناد إلى معطيات التحليل السيميولوجي الملازم لخصوصيات البنيات الوسائطية، والثقافية خاصة، ولعل ما يستدعينا إلى التبرير، سببان متعلقان بالتأصيل النظري لمنهج التحليل السيميولوجي:

فأما السبب التفصيلي؛يرتبط بالإلمام التقريبي بمجال تطبيق السيميولوجيا العامة، والنوعية. حتى يتضح انتقالنا من منهج لآخر، خاصة وأن السيميولوجيا تعد فضاء لتعدد القراءات، مع اختلاف الظواهر، إذ تمتد منهجيا من مساءلة الألفاظ، إلى تقويم الحركات والصور، بمختلف تجلياتها، والطقوس وغيرها، كما تمتد من حيث تطبيقاتها، لتشمل: المسرح، المعمار، الشعر، السينما، الصور، الإعلام...[10]

وأما السبب التطبيقي؛ يتجلى في انفتاح الدراسات الاتصالية بصفة عامة، والإعلامية بصفة خاصة، ومختلف مظاهر الثقافة، على تصورات تحليلية مغايرة لمعايير تحليل المضمون الإمبريقي، وسبله المنهجية، كما سادت لفترة طويلة في الساحتين الثقافيتين، الغربية والعربية. فكان الوصول إلى المنهج التحليلي السيميولوجي عبر مرحلتين:

1- من تحليل المضمون إلى التحليل النسقي للخطاب.

2- تحليل المضمون الإمبريقي ودلالة البنيات الكبرى للمحتوى اللغوي-الاتصالي.

**5. من تحليل المضمون إلى التحليل النسقي للخطاب:**

لقد خضعت إنتاجات الوسائط الإعلامية الجماهيرية، في الدراسات التقليدية، لأوصاف خارجية تعالج الظواهر في علاقاتها المباشرة بالمجتمع، تاريخا وثقافة، فاستلزم هذا انحصار الاهتمام في مساءلة التجليات السطحية لمضمون الإعلامي، وفي صياغة توجهاته الإيديولوجية، بناء على معطيات إحصائية [11]، لذلك لم تتعدد المقاربات التقليدية، للوسائط الإعلامية، الكشف عن مختلف الجهات التمثيلية للمؤسسات التواصلية: مجتمعيا وثقافيا، فتقيدت الدراسات التقليدية، منهجيا ونظريا، بما ينساق مع المنظومة المرجعية؛ من ظواهر إعلامية، ومحاور صحفية، وقضايا تواصلية.وعليه، مالت إلى تكثيف البحث في بنيات الوسائط الجماهيرية الكبرى، كإطار المؤسسة، طبيعة الجمهور، سيرورة التأثير، الوظائف الايديولوجية المباشرة.[12]

وتقويما للأوصاف التقليدية، برزت مقاربة تحليل المضمون، والتي اتخذت مكانة بارزة في أبحاث الاتصال الجماهيري، وهي مقاربة إجرائية، تتوخى ضبط المضامين المعرفية للنصوص الإعلامية، في مستوياتها الدلالية الصريحة، ومن ثمة ظلت البنيات العميقة، مهملة في أدبيات تحليل المضمون، إلى أن طرحت بدائل نظرية تحليل الخطاب، التي اعتنت بالإستلزامات النصية، والتخاطبية للخطاب الإعلامي[13].

ولتحدد أولا، المنهجين التحليليين المختلفين، حتى نتمكن من تبين الخطوات العلمية والمنطقية، للانتقال الإجرائي، في مقاربات تحليل الأنساق الاتصالية:

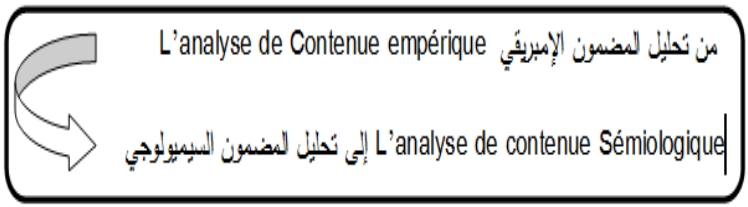


**6. تحليل المضمون الإمبريقي،والمحتوى الاتصالي:**

لقد وجهت مقاربة تحليل المضمون الإمبريقي جهازها الواصف، نحو وسم البنيات الكبرى للنصوص الوسائطية، بثلاثة أوصاف أساسية:

1- الإسقاط "*Projecion*"

2- التعميم "*Circulaire*"

3- الإحصاء "*Statistique*"

4- التكميم "*Baillonnement*"

حيث يفيد وصف "الإسقاط"، جريان السمات المجتمعية على المضمون الإعلامي، كما يفيد تبعية النص الصحفي للسياق، الذي أنتجه إنتاجا انعكاسيا، أما وصف "التعميم"، فمفاده اقتصار تحليل المضمون على تناول إشكالات فرعية فتعمم فرضياتها، ونتائجها على قضية أصلية.أما وصف "الإحصاء"، و"التكميم"، فيستشف من التوظيف الكثيف للنتائج العددية، والإحصائية التي يسفر عنها تحليل جداول الدراسة.[14]، وعليه قام تحليل المضمون الإمبريقي، بتقسيم الدلالات الوسائطية، من حيث مواقع إنتاجها، ومواقعها الإيديولوجية وتكراراتها. وحتى نتبين مرتكزات نظرية تحليل المضمون، لابد من الحديث عن طبيعة وصف المضامين، ونوعية ملامستها، ثم نتحدث عن المراجعة المنهجية لمبادئ تحليل المضمون، والتجديدات التي طرأت عليها في ميدان الإعلام.

يتفرع تحليل المضمون الإمبريقي إلى فرعين متكاملين هما:

1- التحليل الكمي "*Analyse quantitative*": حيث تعتمد على آليات صورية، ترتكز على إحصاء الوحدات الإعلامية، لحصر تكراراتها وتواترها، ولذلك يتم استثمار التقنيات الحسابية والقياسية، في ترجمة معاني النص الإعلامي، إلى معدلات صورية ومجردة [15]، ويلتزم التصاق الوصف الكمي، بالمحاور الصحافية، والمواضيع التواصلية، من خلالها تعدادها في فضاء محدود، وزمان معين، لتشكيل معطيات يتم تأويلها بناء على مولداتها السياسية والاجتماعية والثقافية.

2- أما التحليل الكيفي "*Analyse qualitative*": يستند إلى تأويل المعطيات العددية، التي ينتجها التحليل الكمي، وينظر في التجليات السطحية للأساليب الصحافية دون الغوص في التعقيدات المعرفية، والتي تصف الأساليب.يعتقد هطا النمط التحليلي يعتمد بصورة أساسية على معطيات التحليل الكمي، بمعنى أن التأويلات الكيفية تنطلق من السند الخارجي الصوري، بدل الارتكاز على البنيات العميقة التي تشمل مستلزمات ومقتضيات الوحدات الإعلامية السطحية، بدلالاتها الأسلوبية والحجاجية.

شكلت التحليلات الكمية والكيفية، المحددات الاجرائية لتحليل المضمون منهجيا، غير أن مستجدات العلوم الحديثة ومستحدثات المعارف المعاصرة، أجبرت الباحثين في مجال الاتصال على إعادة النظر، في هذه المحددات، بحثا عن كفاءة وضعية، جديرة باعتماد إجرائي حديث، يتناسب وموضوع السيميولوجيا[16]

**5. خاتمة:**

جدد تحليل المضمون حيزه الكيفي، إلى جانب التعديلات التي مست التقنيات الاحصائية، والمعايير القياسية في الحيز الكمي، من خلال تعميق وسائل الاستقراء للبنى التركيبية، والوظيفية للنصوصالإعلامية، فانتقل الفعل المنهجي الاجرائي، من الوصف

التجزيئي، للإنتاج الاتصالي، الذي ميز المحتوى الدلالي،إلى الوصف النسقي، الذي جسد، فيما بعد، كل المتعلقات الاساسية للخطاب، في العناصر التالية: المضمون – الشكل – الاستدلال، فجاء التجديد من منهج تحليل المضمون، إلى منهج التحليل السيميولوجي، بالتقاطع بين نظم الاتصال، وظلال الثقافة، من أجل تسطير تصور علمي، يخص نسقية الخطاب، موضوع التحليل .

إن التحليل السيميولوجي، هو المقاربة الأكثر كثافة في مساءلة كل أنواع الخطابات اللغوية-الاتصالية، على اعتبار أن نسق الخطاب لا يحصل تحصيلا تاما وشاملا ،إلا إذا استوفى وصفه الإجرائي، من خلال طرائق تقويم مضامينه وأشكاله، ففي مقارنة التحليل السيميولوجي، ثم احترام هذا الشرط المنهجي، مماأدى إلى تعدد الاساليب التحليلية، اجرائيا، واختلاف المسالك التقويمية، اختلافا استدلاليا ،مما استلزم تشعب التصورات وتفرعها، أما في الدلائل ، وأما في المسائل: دلائليا من حيث امتلاك المفاهيم والأدوات الإجرائية المواتية، ومسائليا من حيث تكييف هذه الأدوات وفقالاختلاف، وتعدد المحاور والاشكالات البحثية .

*** *** ***

**6.الهوامش:**

[1] برنار توسان، ترجمة: محمد نظيف، ماهي السيميولوجيا، ط2، أفريقيا الشرق، المغرب: 2000، ص 37.

[2] مرسيلوداسكال، ترجمة: حمداني خمبد، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، ط1، افريقيا الشرق، المغرب:1989، ص28.

[3] جميل حمداوي، مدخل إلى المنهج السيميائي، المركز الثقافي العربي المغرب: 2006، ص 28.

[4] نسبة إلى العالم الفرنسي "f. de Saussure"، مؤلفه: "الدرس اللغوي واللسانيات".

[5] نسبة إلى العالم الأمريكي: "Charles Saderspeirce"، مؤلفه "كتابات حول العلامة".

[6] عبيدة صبطي، فؤاد شعبان، كيفية تصميم الإعلان، دار الخلدونية، الجزائر، 2010، ص41.

[7] مارسيلو داسكال، مرجع سابق، ص15.

[8] *Todorove (T): Qu'est ce que le structuralisme ?, Ed. Le seuil, paris, 1968.p 11.*

[9] *Ibid, P13.*

[10] *M C Quail, Communication Models for the Study of Mass Communications, Edi Prentice Hall, 1993 : P23.*

[11] *George Jule, The Study of Language, Publisher : Cambridge UniversityPress, 2012 : P33.*

[12] *ibid, P37.*

[13] *Claude Tircelin, Le doute en question : parades pragmatistes au défi sceptique, Paris, Ed :l'éclat, 2005: P34.*

[14] *Chrisian Pinson,Comprendre et identifier les consommateurs qui ont tendance à « tout » garder, Ed : Sage, 2004 : P17.*

[15] *Richard Ghiglone, Le modèle médiatique de la communication : un formalisme adapté au conformisme idéologique, inadapté au changement, Dans Bulletin de psychologie 2008/3 (Numéro 495), 2008 : P270.*

[16] *André Semprini, Le multiculturalisme. Paris, Presses universitaires de France, Coll. : « Que sais-je? », 1997: P31.*